الجزء الأول: النصّ الكتابي يفتح العيون العمياء

أفترض أن كل من يقرأ النصّ المقدّس يجد أن أجزاء معينة قد استحوذت عليه. هناك ثلاثة أسفار تُمتعني: أفسس والمزامير ولوقا. إن رسالة أفسس تسكن في مكان عالٍ ومقدّس وأيضًا بالتواضع والانسحاق في القلب. ويظهر في نفس الصفحة، وربما في نفس الجملة، أعلى تمجيد لله وأيضًا التطبيقات العملية الشجاعة عن كيف نحيا حياتنا. وسفر المزامير يلتقط صورًا للإيمان: حيّ، وبشري، فظ ومدروس، سواء كان معوز أو ممتن، في حالة تلبس متفاعلاً مع الله. ويضع إنجيل لوقا وصف ليسوع القوي بلطف، صديق المحتاجين، ومضايق لأصحاب السلطة. والمقالات في هذا القسم تضع عينات من هذه الأسفار.

نتحدث عن أفسس في ثلاثة مستويات. الفصل الأول، «تقديم المشورة لأفسس»، يتوقف ويسأل، «كيف علينا أن نفهم هذه الرسالة المذهلة؟» إنها تتعلق بالطبيعة الحيّوية للنص المقدّس. وبالمصطلحات التقنية، إنها تتعلق **بالتفسيرات،** كيف نفسّر بوضوح ما قد أعطانا الله إياه.

الفصل الثاني ينغمس في أفسس، باحثًا عن الإجابة لسؤال كبير: «من هو الله؟» وبالمصطلحات التقنية، إنها تتحدث بطريقة **اللاهوت النظامي،** تأخذ موضوع يليه موضوع، وتطرح أسئلة.

الفصل الثالث يكشف بالتفاصيل الفقرة التي تتحدث عن علاقات الزواج والعائلة والعمل. وبالمصطلحات التقنية، «القوانين الإلهية والعلاقات: أفسس ٥: ٢١- ٦: ٩» تقدم **تفسير وأخلاقيات.** إنه يتعامل مع نص محدد في سياق محدد. ولأن النصّ يتحدث عن الاتجاهات والتصرفات العملية، فإن الفصل ينظّم ويطبّق التعليمات الأخلاقية.

والفصلان اللذان يتحدثان عن سفر المزامير يتصديان لجانبين من الشر يطاردانا طوال حياتنا: الخطية والمعاناة. الفصل الرابع، «اهدأ، اسكت: مزمور ١٣١». هذا المزمور الهادئ والقصير يقدم تصويب قاتل على الكبرياء الذي لا يهدأ في قلوبنا المتصارعة، ويعمل على تهدئتنا.

ويُحضر الفصلُ الخامس مزمور ١٠ لمن تعرضوا للاستغلال، والإساءة والاعتداء من قِبل الآخرين. «لماذا أنا؟» عنوان يلتقط معاناة المحتاجين والضحايا، إلى جانب الفكر الواعي والإيمان البارع في أنّ الذين يعانون عليهم الوقوف ضد الشرور.

وأخيرًا الفصل السادس، «لا تقلق»، وهو عظة عن عظة ليسوع (لوقا ١٢: ٢٢- ٣٤). يسكب فيها يسوع أسباب عدم القلق – بالتحديد في المجالات التي نرتبك جميعنا فيها بسهولة. ولماذا يوجد عظة في كتاب عن المشورة؟ حيث تسكن نفس الحقائق في الخدمة الجماهيرية (الحديث المكتوب والمخطط) كما في الخدمة الفردية (المناقشات الارتجالية).

الفصل الأول: تقديم المشورة لأفسس

الوافدين الجدد للمشورة الكتابية يختبرون عادة شكوك حادة تنعكس في أسئلة مثل هذه: «من أين أبدأ؟ أنا واعٍ تمامًا بعدم قدرتي وعدم كفاءتي، ولكني أريد **مساعدة** الناس. أريد التأمل والتواصل مع يسوع المسيح! ولكني أعلم أن الكتاب المقدّس كبير وعميق. إن تفاصيل عمل الله يمكن أن تكون غير واضحة. وفي نفس الوقت، إن المشكلات والأحمال التي يأتي بها الناس محيّرة ومربكة. وأنا لديّ خطاياي وصراعاتي. إن فهمي وقدرتي محدودان ومتضرران. لن أستطيع مساعدة الآخرين في النمو في الحكمة إذا كنت بحاجة لأن أجيد الكتاب المقدّس كله وأحل كل الخلافات في الوضع الإنساني، بما في ذلك الوضع الخاص بي! من أين أبدأ؟» إن المشيرين ذوي الخبرة إذا لم يصبحوا جافين وروتينيين يشعرون هم أيضًا بحدة أسئلة مشابهة، ليس بشأن كيفية البداية، ولكن بشأن كيفية الاستمرار. وعندما تخطو داخل نور الله وداخل ظلمة الإنسان، فأنت تخطو إلى أمور مبهمة. من الشخص الكفء لهذه الأمور؟ كيف يمكنك أن تبرع فيما يفوق فهمك وقدرتك؟

ولن تخطئ إذا غرقت في رسالة بولس لأهل أفسس. ابرع فيها. واتركها تجعلك بارعًا. اجعلها تعمل في تفكيرك، وحياتك، وصلواتك، وحواراتك. إن الكتاب المقدّس كبير وعميق، والحيّاة البشرية متنوعة ومربكة. ولكن في لحظة يمكنك أن تقوم بكل أعمال المشورة من أفسس. كل شيء موجود فيها: الصورة الكبيرة التي تنظّم تفاصيل لا تحصى. وأفسس لا تتعلق «بالنصح» فحسب، بل «بالمشورة.» إنها تتحدث وتعيش الطرق إلى جانب المحتوى. فبولس نفسه رجل قد تغيّر. إنه يحيا ويعلم إستراتيجية رعوية حكيمة. إن أفسس تسعى لأن تعلمك كيف تحيا. فهذا مرادف للمشورة بطريقة كتابية، لأن تقوم بخدمة وجهًا لوجه.

إن هذا المقال ليس «تفسير» لأفسس. إنه يسعى لأسلوب مختلف، كونه كُتب لناس مشتركين في جوانب الخدمة ذات الوجه لوجه، كرعاة للنفوس. إن رسالة أفسس نفسها كتبها راعي نفوس. نعم إن بولس كان مفسرًا ولاهوتيًا، ولكنه كان رجلاً في المسيح في المقام الأول، ثم كان دومًا راعيًا، **لكل** شعب الله (وبكلمات أخرى، واعظًا) **ولكل فرد** من شعب الله (وبكلمات أخرى، مشيرًا). قام أحدهم بوصف Jonathan Edwards بهذه الطريقة: «إن لاهوته كان

كله تطبيقًا، وتطبيقه كان كله لاهوتًا.» وهذا هو نوع اللاهوت والتطبيق اللذان تجسدهما أفسس. وهذا هو المسعى هنا أيضًا: كتابة لاهوت عملي من أفسس.

دعوني أبدأ بالتصدي لسؤال أولي حاسم. كيف نفسّر أفسس؟ ما الذي نتعامل معه؟ ليست لديّ المساحة أو الحكمة لأقدم فلسفة تفسيرية شاملة ومنهجية تفسيرية كتلك التي توضع على المشورة. ولكن دعوني أقدم ثلاث نقاط لتوجيهنا أثناء سعينا للتفكير بدقة حول هذا السفر.

أفسس لاهوت عملي

رسالة أفسس لا تتعلق باللاهوت العملي فحسب، بل هي نفسها لاهوت عملي. والفرق بين «الحق الكتابي» و«التطبيق العملي» هو أمر مزيف. فالحق يصل بشكل عملي في الكتاب المقدّس. ويعلم بولس بتطبيق الحق الكتابي على نفسه والآخرين. فالحق الكتابي ليس أطروحة، أو كتيّب أو تفسير. إنه رسالة. إن أفسس عبارة عن تطبيق، حياةٌ مُعاشة أمام عيوننا. إن حق الله يأتي عن طريق حياة المؤلف في المسيح، وعن طريق محتوى رسالته. وهذا الحق يجسّد الإيمان والأمانة اللتان تعتبران النتائج المقصود وصولها للقرّاء. إن «اللاهوت العملي» و«الممارسة الرعوية» يَتحدثان ويُحدثان أثرًا شخصيًا: **رسالةٌ منِّي إليك.**

إن أفسس رسالة، وهي لا تتعلق «بموضوعات» لاهوتية وأخلاقية متنوعة. فهي ليست مجموعة من الأقوال المأثورة أو الأطروحات عن الله والبشر بشكل عام. إنها ليست قصة. فبولس يكتب بصيغة المتكلم وبصيغة المخاطب. وتسمعه يتحدث معك وكأنه يقول: «إن الله عيَّننا للتبني. أشكرُ الله من أجلكم. كنتم أمواتًا بالذنوب. وقد قبِلنا ميراثنا. صلّوا لأجلي.» وتعبِّر رسالة أفسس عن لقاء من ثلاثة جوانب بين الله وبولس وسامعيه. إن اللاهوت العملي يتم في صيغة المتكلم وصيغة المخاطب: أنا، ونحن وأنتم. إنه يتحدث فقط «عن» شيء أو شخص عندما يخدم ذلك التحدث «إلى» شخص. إن الخدمة والحيّاة والعلاقات **تحدُث** في أفسس، لذا فكلمة بولس تأتي في حزمة من الصلاة والعبادة وكشف الذات والمخاطبة المباشرة.

فلندع هذا يلفت انتباهك: فكلمات بولس تأتي كصلاة، وعبادة، وكشف ذات ومخاطبة مباشرة. وهذا يختلف تمامًا عن غالبية الأسفار. وللأسف هذا يختلف عن غالبية العظات والتعاليم وجلسات المشورة. إنه يختلف عن الموضوعية البعيدة والافتراضية لغالبية التأملات اللاهوتية العلمية، أو النمط السريري لغالبية كتابات المشورة. وعندما يناقش بولس مجد نعمة الله

في المسيح، فإنه يتهلل بصوت مسموع في ذلك المجد (أفسس ١: ١- ١٤). وعندما يعلِّم عن قوة الله في المسيح وعن احتياجاتك العميقة، فإنه يدعك تسمع الطريقة التي يصلّي بها لأجلك (أفسس ١: ١٥- ٢٣). وعندما يشرح عقيدته بشأن الخطية والخلاص، فإنه يخاطبك مباشرتًا: «**وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا. نَحْنُ أَمْـوَاتٌ. بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ. نَحْنُ عَمَلُهُ.**» (انظر أفسس ٢: ١- ٢٢). وعندما يشرح بولس اللاهوت المتعلق بكيفية قبول كل الأمم في المسيح، فإنه يسرد قصته هو ثم ينفجر في صلاة أخرى: «**سَمِعْتُمْ بِتَدْبِيرِ نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لِي لأَجْلِكُمْ ... أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ ...**» (انظر أفسس ٣: ١- ٢١). وعندما يستكمل بولس الكتابة بشكل مكثّف عن الأخلاق والعلاقات وديناميكية التغيير، فإنه يتحدث مباشرتًا إليك: «**فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ ...**» (أفسس ٤: ١- ٦: ١٨). وعندما يختم حديثه، فإنه يفعل ذلك بطلب صلاة، وبعض المعلومات الشخصية ووداع حار (أفسس ٦: ١٩- ٢٤). إن أفسس رسالة عملية وعلاقاتية ورعوية. وحياة الإيمان نفسها تحدث في صيغة المتكلم والمخاطب. وبما أن الإيمان في المسيح تم تمييزها كما تم تعليمها، فإن بولس يستخدم الوقفات الشخصية حتى يجعل ما يقوله معديًا. إن أفسس لاهوت عملي. إنها إيمان حي. إنها خدمة عاملة. وكل هذا هام للغاية لكيفية فهمك واستخدامك لأفسس اليوم.

وبحكم التعريف، فإن غالبية الكتابات العميقة عن أفسس كانت أكاديمية. وبالتالي فإنها تقود لخطر إساءة فهم أفسس بالفشل في العودة للدائرة الكاملة للحياة العملية والخدمة. إن العلم يمكن أن ينفع الخدمة بشكل جيد، إذا أدركنا ما هو الكتاب المقدّس وما يعتزم تحقيقه. والفشل في إدراك ذلك يرسل العلم إلى هوة الخطأ أو عدم المطابقة، ويجعل الخدمة مضللة أو عاجزة. إن أفسس، مثل الحيّاة والخدمة، لا تعمل في أساليب غالبية التعليم اللاهوتي. إنها لاهوت عملي وممارسة رعوية، وتهدف لإنتاج نفس الشيء. فهي ليست تفسير ولا لاهوت نظامي ولا قصة فدائية.

رسالة أفسس ليست لاهوت تفسيري

إنها ليست في شكل دراسة كتابية أو تفسير. ورغم أن بولس يقتبس، أو يعيد صياغة، أو يشير إلى فقرات من العهد القديم (وحقائق العهد الجديد)، فإنه يقود دراسة وفهم الخلفية نحو هدف حالي مختلف. فتظهر الوصايا العشر والمزامير وإشعياء والأمثال، ولكنها تظهر بشكل عملي، في الحاضر والآن، المنطوق والمُطبّق بطرق جديدة. إن رسالته قديمة دائمًا، وناتجة

عن دراسة الكتاب المقدّس ومتّسقة مع نصوص كتابية أخرى. ولكن رسالته جديدة دائمًا، معدّلة لتصلح للخدمة اليوم. إنه **يستخدم** النصوص الكتابية الأقدم. وهو لا «يشرح» فحسب، لأنه غير محكوم باهتمامات تفسيرية. إنه **يؤسس** رسالة، محكومة باهتمامات «الخدمة لأناس حقيقيين.» وبالمثل، فإن عملنا لم ينتهي بل بدأ فقط عندما درسنا رسالة أفسس نفسها. ونحن أيضًا علينا أن نكون محكومين باهتمامات جديدة «لخدمة لأناس حقيقيين»، وإلا لن نفهم أفسس حقًا ولن نستطيع استخدامها لصالح الآخرين.

إن التفسير يستكشف المستمعين الأصلّيين والمؤلف والرسالة. وعلينا أن نفسّر، ولكن يجب أن نقوم بأكثر من التفسير. علينا أن نخطو لما بعد الأصل.

رسالة أفسس ليست لاهوت نظامي

نعم إنها مصدر رئيسي للإجابات على أسئلة مركزية لنظام الحق الكتابي. على سبيل المثال، لا يوجد تعليم أوضح في أي موضع عن سيادة الله العليا: هدفه وقوته ونعمته ومجده في المسيح مرتفع لدرجة أن من له أذنان يسمع ما يقوله الروح للكنائس لابد وأن يصبح كالفيني مشتعل القلب. وهنا أيضًا تجد بصيرة فريدة للوحدة مع يسوع المسيح، وطبيعة الكنيسة، وعملية التقديس، وعلاقاتنا الاجتماعية وحربنا الروحية. ولكن أهداف بولس الواضحة ليست نظامية. بل بالحري فهو شخص رعوي وشخصي. إن تعليمه بأننا في المسيح يتماشى مع سياق العبادة والصلاة والنصح. لماذا؟ عليك أيضًا أن تعبد وتصلّي وتنصح – وتستمع لبولس – حتى **تعرف** أنت وآخرين هذا المسيح الساكن في قلوبكم بالإيمان، **وتعرف** حب المسيح الذي يفوق المعرفة. إن اللاهوت النظامي ينظّم الكتاب المقدّس كله بمنطق فلسفي، ولكن علينا أن نقوم بأكثر من تعليم الناس بتصنيفاتنا اللاهوتية إذا أردنا أن نخدمهم.

رسالة أفسس ليست لاهوت كتابي

إنها ليست إعادة سرد قصة عمل الله الفدائي خلال التاريخ. ونعم، فالقصة كلها هنا، هدف الله الأزلي يتممه المسيح؛ المحبة القدرية؛ الخلق على يد صانع كل الأشياء؛ السقوط في الخطية خادعة الجميع والغضب العادل؛ التحرر من خلال دم المحبوب؛ قيامة المسيح وقيامتنا فيه؛ تتويجه فوق عرش كل قوة؛ اتساع الوعد ليشمل جميع الناس في الوعود الخاصة باليهود فقط؛ اليوم المنتظر لعودته سيتم الإعلان عنه عندما تكون مملكته في كل مجدها وكمالها. ولكن القصة مبعثرة في قصاصات طوال الرسالة. وبينما يمكن للقطع أن تتجمّع مرة أخرى

إلى قصة الفداء التاريخية، فإن بولس يسعى لأهداف أخرى. نعم فكل القصص مُتضمنّة في هذه القصة. فالجميع يعيشون مقمّطين بين الهدف الأزلي والقدر الأبدي، قصة داخل القصة. ولكن يجب أن تلاحظ جيدًا أن بولس لم يكتب قصة. ولم يكتب قطعة من اللاهوت الكتابي. إنه لا يشمل نفسه في سرد القصة عندما يتضرع لك، ويترجى الله معك، ويغني بتسابيح ووعود وأحكام. واللاهوت الكتابي ينظّم الكتاب المقدّس كله بمنطق تاريخي وقصصي، ولكن علينا أن نقوم بأكثر من سرد القصة إذا أردنا أن نخدم الناس.

إن أفسس عبارة عن لعبة عادلة للباحثين عن لاهوت تفسيري ونظامي وكتابي.[١] هذه التدريبات المساعدة حاسمة في فهم الكتاب المقدّس جوهريًا. ولكن لا تنسَ أبدًا أن أفسس هي لاهوت تطبيقي وتقوم بلاهوت عملي، متحدثة من الربّ إلى حياة الناس. نحن نصل لهدف بولس المقصود فقط عندما نقوم أيضًا بلاهوت عملي، قائلين الحق في محبة لننمو معًا في المسيح، رأسنا. عليك أن تغلق الحلقة. إن مسيرة بولس ورسالته الجديدة يجب أن تقودك لمسيرتك الخاصة ورسالتك الجديدة. يجب أن نطبّق رسالتها (أفسس) الحالية للمستمعين الحاليين حتى يمكننا فهمها حقًا. فاللاهوت العملي هو المشهد الأخير. أفسس تغني وترقص؛ إنها ليست مجرد رسالة تحتوي على كلمات ونقاط ورسوم راقصة. لقد كُتبت لتغيّرك وتجعل منك أداة تغيير في حياة إخوتك وأخواتك. نعم، احضر أدوات درس الكتاب والتأملات اللاهوتية لتنشرها. ولكن لا تسمح أبدًا للتدريبات الداعمة أن تتحلل إلى نهايات في نفسها. استكشف الحكمة العملية التي هي نهاية أفسس الرئيسة، حتى تتمكن أنت أيضًا أن تحيا وتقوم بالخدمة كما قام بها بولس.

رسالة أفسس هي باب لبقية النصّ الكتابي

هناك مفتاح آخر لفهم واستخدام رسالة أفسس جيدًا وهو رؤية «الحلقات المفتاحية» لبقية النصّ الكتابي ورؤية الطريقة المحددة التي يستخدمها بولس للنصوص الكتابية الأخرى. وتُوصّل أفسس إدراك روحي للنصّ الكتابي كله. إنها مكثّفة باقتباسات وإشارات محددة وتستخدم نصوص كتابية أخرى بأهداف حالية. فالنصّ الكتابي ينزف نص كتابي آخر، ورسالة الله الجديدة مؤسسة على رسائل الله السابقة. فالرسالة الجديدة متّسقة بشكل عام مع الرسائل الأقدم، ولكنها تُجدد في التفاصيل.

١ إن اللاهوت التاريخي، أي الجزء الخاص بالمنهج اللاهوتي في «تاريخ الكنيسة»، يصنع مساهمة إضافية هامة للاهوت العملي. نحن نتبع العديد من المفسرين ومسيئي التفسير، والعديد من الممارسين ومسيئي الممارسة لهذه الرسالة على مدار ألفي عام.

ما هو الأساس التفسيري الذي يخصص بولس من خلاله بقية النصّ الكتابي؟ إن أسلوب بولس صادم، وربما يكون مزعجًا لوجهات النظر الشائعة لدراسة الكتاب المقدّس. وبالتأكيد، فإن بولس ليس خياليًا أو اعتباطيًا. فهو لا يعبث بالنصّ الكتابي، كما لو أن كل شيء مباح. فهو لا يُخضع النصّ الكتابي لأهوائه، عن طريق إثبات النصوص الكتابية، ولوي الرموز، والدلالات، وترابط الكلمة والرّوحَنَة الاعتباطية للنصوص. إنه لا يقوم بأمور خارجة عن السيطرة مثل عدد ١٣: ٣٣ بمعنى «إن الجواسيس عانوا من صغر نفس لأنهم رأوا أنفسهم كالجراد.» إن منطقَهُ ليس من النوع الذي يقول، «لقد تفحّص نحميا الضرر الذي حدث لأسوار أورشليم، ولهذا على المشيرين أن يستكشفوا حالة الجرح الذي يعاني منه المستشير.» ولكن يجب ملاحظة أيضًا أن بولس لا يستخدم بقية النصّ الكتابي بطريقة تاريخية ـ لغوية. ففي واقع الأمر إنه لا يفسّر أو يتعمّق في المعنى الأصلّي للعديد من الفقرات التي يذكرها أو يشير إليها. فإنه يقترب للغاية من إثبات النصوص الكتابية عندما يأخذ نص قديم في اتجاه مختلف عن الاتجاه الأصلّي له: مثال، استخدامه لـ«**اِغْضَبُوا وَلاَ تُخْطِئُوا**» (مزمور ٤: ٤؛ أفسس ٤: ٢٦). فهو يقترب للغاية من الشكل المجازي والروحانية عندما يقوم بمد وإعادة تشكيل معنى وتطبيق النصوص القديمة: مثال، «الصعود إلى العلاء» الخاص بالربّ المنتصر (مزمور ٦٨: ١٨؛ أفسس ٤: ٨- ١١) و«الترك والالتصاق» الخاص بالزواج (تكوين ٢: ٢٤؛ أفسس ٥: ٣١). وفي كل حالة فإن كلمات وموضوعات العهد القديم تصبح أكبر مما كانت عليه، مظهرة أبعاد جديدة مذهلة للمعنى. إن بولس مبدعٌ إلى أبعد الحدود! والتفسير التاريخي- اللغوي للنصوص الأصلّية لا يقود إلى ما يقوله ويفعله بولس.

علينا أن نفكر في ذلك جيدًا. فما هي المبادئ التي تتحكم في استخدام بولس للنص الأقدم؟ والجواب المتكامل يقع فيما وراء نطاق الحديث هذا الفصل، ولكن يمكنني صياغة جوهر الإجابة في مبدأين. أولاً، يتمم يسوع المسيح العهد القديم بشكل تام. ثانيًا، هناك تماسك موضوعي عام بدلاً من التناقض أو التكرار الدقيق بين الاستخدام الجديد والمعنى الأصلّي. إن بولس مبدع، ولكن ليس خيالي أو متناقض أو منفصل. ويخلق المسيح كلاً من الاختلاف والتماسك؛ فالأهداف الجديدة للخدمة تعبر عن كلٍ من الاختلاف والتماسك. تخيّل أن الله وعد أجداد أجدادك في عام ١٩٠٥ أنه في يوم ما سيعطي أحد أحفادهم سيارة فورد طراز تي العتيق، ونظام اتصال راديو مدعّم بشفرات موريس وطائرة عتيقة ذات سطحين. وعندما قرر أن يقوم بالتسليم في عام ٢٠٠٣، أعطاك سيارة دودج طراز فايبر، وهاتف خلوي متصل بالقمر الصناعي

وطائرة شبح طراز F-117. فأنت تسافر وتعمل وتحارب بطرق تظهر تماسك موضوعي مع ١٩٠٥ – فلازال بإمكانك تمييز أن هذه الأمور وسائل نقل واتصال وحرب – ولكن التفاصيل تغيرت. وبالمثل، فإن نبوات وتراتيل ووصايا وقصص العهد القديم أصبحت فائقة الامتلاء بقوة ومجد الروح القدس الذي من خلاله يسكن يسوع المسيح في شعبه. فهي أمور مصممة طبقًا لاحتياجات شعب مختلف يعيش في زمن مختلف، ويواجه مشاكل يمكن التعرّف عليها ولكنها مختلفة.

وعندما نفتح الباب للنص الكتابي بأكمله، نجد أن أفسس قد «غيّرت» النصوص السابقة. وعندما نجد أنّ المسيح قد أصبح ذبيحة (أفسس ٥: ٢) ونحن أصبحنا هيكل الله (أفسس ٢: ٢١)، فنحن مدعوون لنقرأ سفري اللاويين وملوك الأول بشكل مختلف – ليس برموز خيالية، ولكن كتشبيهات للدم والحجارة في البُعد الكريستولوجي. وعندما يهدد الغضب وحدة شعب المسيح أثناء عملية التقديس (أفسس ٤: ٢٦)، فنحن مدعوون لنقرأ مزمور ٤ بشكل مختلف، بتضمينات مختلفة تمامًا. فهناك اختلافات بعيدة المدى بين اقتباسات بولس والاقتباسات الأصلّية. وكأن الأصل كان نجمة متفردة تُرى بالعين المجردة. ولكن مع رؤية كلاً من المسيح والاحتياج الحالي فإن بولس ينظر للنجم من خلال تلسكوب قوي، وهو الآن يرى مجرة أندروميدا: التي تحتوي على مليارات المليارات من النجوم، قرصٌ من الجمال الخلاب بعرض ١٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية، وهذا مشهد متسع من المجد لم يكن بالإمكان تخيله من قبل. ويتضاعف نطاق التطبيق وعمق التأثير كلما أعاد بولس قراءة العهد القديم والأناجيل من خلال مجد ملك المسيح، ومن خلال مهمته في كتابة شخصية عملية للكنيسة. إن أفسس تفتح الباب لأجزاء أخرى من الكتاب المقدّس، ولكنها تعيد صياغة ما تفتحه أمامنا. فلنأخذ في الاعتبار ستة أمثلة:

١. إن بولس يفتح قناة اتصال مباشر مع سفر المزامير كله عندما يقول: «**امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ، مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرَتِّلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ. شَاكِرِينَ كُلَّ حِينٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِلهِ وَالآبِ**» (أفسس ٥: ١٨- ٢٠). ولكن كلمات بولس تجعل لكل المائة وخمسين مزمورًا معنى أكبر من معناهم الأول. ففي المقام الأول نجد أن داود يعيد ملء تأملاته وبكائه وصراخه وتراتيله في ضوء الربّ يسوع المسيح والله الآب. وفي المقام الثاني نجد أن المزامير لا تقدم موضوعات للذاكرة الكتابية

أو اقتباسات للعبادة. بل بالحري فإن سفر «المزامير» يقدم نموذج للإيمان الحيّ والمنطوق في المسيح.

وأن «نمتلئ بالروح» هو أن يكون لنا لغة حية في الله، سواء كانت في حواراتنا اليومية مع الآخرين أو في حواراتنا الداخلية في قلوبنا. والمقصود هو أن يكون التدفق المعرفي الواعي الخاص بك وتعاملاتك الاجتماعية شبيهه بالمزامير ومُخبِّرة بالمزامير. وهذا يشمل القدرة على اقتباس مزمور ما بطريقة مناسبة وذات صلة، بل وأكثر من ذلك. فإن بولس يدعوك لنمط حياة من الاعتماد المبتهج على المسيح، أي أن تحيا في الإيمان مثل المزامير.

وإذا وصفنا شريط فيديو لحديثك الخارجي وأفكارك الداخلية فإنها سوف تبدو مثل مزمور شخصي ومُحدّث بشكل مستمر. فحقائق علاقتنا الحيّة بالمسيح تسكب الطريقة التي تتعامل بها مع تفاصيل حياتك اليومية. فأنت تتحدث وتفكر بإبداعات وتطبيقات النصّ الكتابي ذات المذاق الجديد، والتي يقوم يسوع المسيح بتحديثها في كل أجزائها. وتظهر أمثلة لأشخاص مملوءين بالروح لهم كلمات شبيهه بالمزامير ومُخبِّرة بالمزامير مثل اليصابات ومريم وزكريا (لوقا ١)؛ وفي تعاليم وصلوات المسيح (لوقا ٦؛ ١١)؛ وفي عظات بطرس (أعمال ٢؛ ٤)؛ وفي صلاة المؤمنين (أعمال ٤)؛ وفي التسبيحات والصلوات والعظات الموجودة في رسالة بولس لأفسس كلها؛ وفي الأوقات التي تتحدث بكلمة الله بشجاعة ووضوح وإيمان؛ وفي الأوقات التي تبارك فيها الربّ بكل ما في داخلك. فقد وجَّهك بولس إلى المزامير بتطبيق جديد جذريًا: اذهب وعش مثلما تفعل المزامير، برؤية للرب يسوع المسيح.

٢. بولس لا يشير فحسب إلى سفر المزامير بشكل عام، ولكنه يقتبس من ثلاثة مزامير بالتحديد. وكل حالة اقتباس تعطي العهد القديم تطبيق جديد وتركيز غني بالمسيح. وعندما وضع الله «**كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ**» (مزمور ٨: ٦؛ أفسس ١: ٢٢)، نجد أنّ تلك الفقرة التي تتحدث في الأصل عن مجد خليقة الإنسان تصّورُ مجد خلاص ابن الإنسان الفريد، الذي فيه أقامنا وتوّجنا كخليقة جديدة. إن مزمور ٨ متميّز وليس متعارض. ولكن، الراديو المدعّم بشفرات موريس أصبح هاتف خلوي متصل بالقمر الصناعي.

ويضخّم بولس أفسس ٤: ٨- ١١، ويغير مزمور ٦٨: ١٨: «**إِذْ صَعِدَ إِلَى الْعَلاَءِ سَبَى سَبْيًا وَأَعْطَى النَّاسَ عَطَايَا.**» وأعلن النصّ الأصلّي صعود الربّ المنتصر على جبل سيناء، في مستقبلٍ غير معروف عندما تسجد كل أمة. وأصبح هذا المستقبل معروفًا الآن، في المسيح، ليتغير كل شيء. إنه مزمور يتحدث عن «الصعود» أخذه بولس ليجعله «محمولاً» بانحدار مسبق للرب (تجسّد ومعاناة وموت). ومكان الصعود ليس جبل سيناء، ولكنه عرش الكون. إنّ إعادة صياغة بولس لموكب النصر بحيث يكون الله «معطيًا» أشخاص موهوبين ليقودوا كنيسته، في الواقع قلب النصّ الأصلّي الذي كان فيه الله «مُستقبِلاً» للعطايا في إجلال.

وعندما يكتب بولس هذه الكلمات «**اِغْضَبُوا وَلاَ تُخْطِئُوا**» (مزمور ٤: ٤؛ أفسس ٤: ٢٦)، فهو يغير اتجاه التطبيق مرة أخرى مخاطبًا سياق مختلف تمامًا. فالأصل بدا كجزء من تأمل طويل بتسكين قلبك في سلام وثقة، حتى لا تخطئ عندما تغضب من شرور أعداء الله. وإعادة الصياغة الجديدة تولد ضرورة التعامل السريع مع الغضب، بالدرجة الأولى في سياق الخطايا المتبقية والتي يمكنها أن تؤرق وتستفز من هم في المسيح. إنها تولد البعد الشيطاني، عن كيفية قيام الغضب الذي لم يتم التعامل معه باللعب في جدول أعمال الانقسام الخاص بالمُشتكي على الإخوة. إنها تضع تعاملنا مع الغضب في سياق أكبر وهو «تعلّم المسيح» (أفسس ٤: ٢٠)، كأحد الخطوات التحوّل في حياتنا. لقد كيّف بولس مزمور ٤: ٤ لمنظور أكبر. فيتألق الاقتباس بمعاني جديدة، بدون تناقضات.

٣. تفتح رسالة أفسس الباب إلى سفر الأمثال. وعندما يناقش بولس السير بالحكمة بدلاً من الجهل (أفسس ٥: ١٥- ١٨أ)، فإنه يخلق اتصال حي مع سفر الأمثال ككل (وتقليد الحكمة الأشمل) والذي يُفصّل هذا الموضوع. فهو يرفع الغطاء باقتباس مباشر من الترجمة اليونانية لأمثال ٢٣: ٣١، والتي تعتبر إعادة صياغة وتكبير للأصل العبري. وهذا الاقتباس لا يصلح كتفسير مناقشة سليمان الواضحة للسُكر في أمثال ٢٣. فهو يخدم «كمثل» لمتعة حمقاء تتعارض مع المتع الحقيقية لكون المرء ممتلئ من الروح القدس ومعرفة الربّ. وبعد بضعة جمل،

فإن «خوف المسيح» (٥: ٢١) تصنع تلميح غني بالمسيح للمبدأ الأول لكل نصوص الحكمة الكتابية، الذي هو خوف الربّ.

٤. إن طريقة بولس في جعل العهد القديم مسيحيًا تنطلق إلى أقصاها عندما يستشهد بدعوة «الترك والالتصاق» (تكوين ٢: ٢٤؛ أفسس ٥: ٣١- ٣٣). وأثناء تعليم بولس عن الزواج فإنه يضغط على أساسيات الزواج ليخدم استنتاجات المسيح والكنيسة الجوهرية. إن الزواج الحقيقي يصبح تطبيق ثانوي لنص صريح عن الزواج! إن محبة المسيح لزوجته وخضوع الكنيسة لزوجها هما منبع الحق في الـزواج. وتظل تكوين ٢: ٢٤ حقيقة تامة في نفسها، ولكن ضيقة نسبيًا في معناها إذا ما قورنت بما يراه بولس الآن: مجرّة أندروميدا. ورغم ذلك، فإن هذا الاستخدام المجازي ليس اعتباطيًا، ويمكننا تسميته «تأويل مجازي» إذا أمكن لهذا المصطلح أن يحتفظ بأي مفهوم إيجابي. إنه متناسق موضوعيًا مع تفسير تكوين ٢.

٥. وقام بولس بإعادة صياغة وملء الوصايا العشر أيضًا في المسيح وبأهداف حالية. على سبيل المثال، فإن بولس يشير بشكل مباشر إلى الوصية الخامسة (خروج ٢٠: ١٢؛ أفسس ٦: ٢- ٣)، داعيًا الأبناء أن يطيعوا والديهم. وهنا يقترب تمامًا من نسخ النصّ الأصلّي، ولكن لازال هذا التطبيق الجديد أكثر من مجرد استشهاد بسيط بثلاث طـرق على الأقـل. أولاً، بولس لا يسير مع استشهاد النصّ الكتابي، ولكن مع كلماته المحمّلة بالمسيح – «**أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ.**» ثم أحضر بولس الفقرة الكتابية كنص مدعّم، وليس كنقطة أساسية. ثانيًا، بولس يفتتح في منتصف الاقتباس، مضيفًا تعليقه بشأن «**أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بِوَعْدٍ،**» قبل أن ينهي الاقتباس. ثالثًا، ورغم تطابق الكلمات، فإن «**تَكُونُوا طِوَالَ الأَعْمَارِ عَلَى الأَرْضِ**» في أفسس تعني شيئًا مختلف قطعًا عن «**تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ**» في خروج. لقد أصبحت إسرائيل كل الأمم؛ لقد أُعلن عن الربّ في يسوع المسيح؛ لقد تم ابتلاع الوعد بأرض الموعد في وعد المسيح.[٢]

٢ إن أفسس تعطي صدى لكل من العشر وصايا، رغم أن الوصية المقتبسة هي الخامسة فقط. إن لغة اشتهاء وصية تكررت بشكل محدد في أفسس ٥: ٣، ٥، وموجودة بشكل موسع في مناقشات عن الشهوة epithymia في ٢: ٣ و ٤: ٢٢. وتسري الوصية المتعلقة بالشهادة الزور في خلال معالجة شاملة للحديث المؤذي والبنّاء (أفسس ٤: ٢٥- ٢٧، ٢٩- ٣٢). وتتطور التأثيرات الايجابية لوصية السرقة في أفسس ٤: ٢٨. وتوسّعت وصية الزنا لتشمل النجاسة عمومًا والذهن الملوث (أفسس ٥: ٣- ٥). وتوسّعت وصية القتل مع العديد من التعليقات بشأن الغضب والبدائل الكريمة (أفسس ٤: ٢٦- ٢٧، ٣١- ٣٢).
وتظهر وصية السبت عن بعد في الدعوة للطف مع الخدّام، وربما في جلوس المسيح للاستراحة من عملية إعادة الخلق. وتظهر

٦. ويظل مصدر أحد الاقتباسات في أفسس غامضًا: «**لِذلِكَ يَقُولُ: «اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ»**» (٥: ١٤). عندما كتب بولس من قبل «**لِذلِكَ يَقُولُ**» (٤: ٨) كان يعني «الكتاب المقدّس يقول» ويمكن لأي شخص أن يبحث في مزمور ٦٨: ١٨. ولكن هنا نحن لا نعلم من الذي «يَقُولُ». فإنه ليس الكتاب المقدّس، على الأقل ليس بشكل مباشر. إن أفضل الترجيحات هو أن بولس قد استشهد بأحد ترانيم القرن الأول الميلادي المعروفة، كما لو أنه اقتبس من ترنيمة «Amazing Grace» أو «When Peace, Like a River».

وهذا التشبيه يخدمنا جيدًا. فمثل هذه الترانيم تنطق بالحق الذي يمكن اقتباسه في الوعظ: فهي مزامير مسيحية جديدة. وكما تأمّل كلٌ من John Newton وHoratio Spafford في كلمة الله، وتعينت هذه الكلمة في قصصهما الشخصية (حقٌ تعكسه كلا الترنيمتين)، فإن أفسس ٥: ١٤ كانت كتابية قبل أن تصبح كتاب مقدّس.

ويمكن للمرء أن يتخيل بسهولة أخ أو أخت ما استقبلت دعوة إيقاظ من الله وسط خدرة الإثم، وتحيا الآن بشعور حريص ومُلِحّ لنور المسيح. فاللغة تظهر من خلط إشعياء ٢٦: ١٩، ٥١: ١٧، ٥٢: ١ و٦٠: ١، ولكن لغة إشعياء تحولت إلى لغة مسيحية ومخصصة لهدف مختلف إلى حد ما. إن إشعياء لم يقل بالتحديد ما قاله مؤمنو القرن الأول في تطبيقهم لكلمات إشعياء، والذي يقتبسه بولس بعدها لكل الأزمنة. لذا فإن إعادة الصياغة والتوظيف المعاصر للعهد القديم في نور المسيح أصبح جزءًا من النصوص الكتابية التي نحياها الآن.

هل طريقة استخدام بولس للنص الكتابي تجعلك عصبيًا؟ سوف تفعل ذلك، إذا توقعت منه لاهوت تفسيري وليس لاهوت عملي. هل تقلقنا طريقته في استخدام النصّ الكتابي، نحن الذين نخاطر بإيماننا وخبرتنا على سلطة وكفاية ووضوح إعلان الله الذاتي؟ لا على الإطلاق. إن استخدام بولس لنصوص أخرى لا يتعارض مع الشعور الأصلّي - فالطائرة العتيقة

وصية عدم النطق باسم الربّ باطلاً في نطاق واسع في الدعوة لعدم العودة للحياة الفاشلة (أفسس ٤: ١٧- ٢٤؛ ٥: ٥- ١١)، وربما على نطاق ضيق في أفسس ٥: ٣، حيث تندمج مع الانسياق للاشتهاء في الوصية العاشرة. وتسري وصية «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي» عبر الرسالة كلها. علاوة على ذلك، تتغلغل الوصيتان العظمتان، واللتان تلخصا إرادة الله – تحب الربّ وتحب قريبك، في الرسالة كلها ظاهرتان في إشارة مباشرة في أفسس ٦: ٢٤ وأفسس ٥: ١- ٢.

ذات السطحين والطائرة الشبح يظلان متماثلان – رغم أنه لا يسعى لتكرار الشعور الأصلّي. إن اللاهوت التفسيري يحظى باحترام، رغم ذلك فإن الاستخدام الرعوي يتكيف بمرونة حتى ما يضيف نقاط جديدة لمستمعين جدد في زمن جديد.

إن طريقة عمل (modus operandi) بولس مألوفة على حد ما للاهوتيين الكتابيين واللاهوتيين النظاميين. إنهم يسعون للإجابة على أسئلتنا، مثلما يفعل اللاهوت العملي. وللاهوت الكتابي الجيد مريح في النظر للوراء إلى أمور سابقة وفي رؤية معانٍ أكثر غنى: كرموز ونذيرين وكلمات نبوية وأحداث حافلة بالمعاني والتي تكشف، في استعادة أحداث الماضي فقط، التتميم الكامل حيث يُغني المسيح ويغيّر الإعلان السابق. وبالمثل، فإن تعليم بولس يتسق مع مدى جودة استخدام اللاهوت النظامي للكتاب المقدّس. إنه يستخدم الكتاب المقدّس ليجيب على أسئلة جديدة عن العقيدة والأخلاق. وعادة ما يأخذ النظاميون كلمات الكتاب المقدّس ويعرّفونها بمدى دلالي أوسع أو أضيق عما لديّها في الكتاب المقدّس. إذا تم هذا بأمانة فهو لا يشوه النصّ الكتابي أو التفسير، ولكنه يجيب على أسئلة تحتاج لإجابة بأسلوب حقيقي وكتابي.

إن النصّ الكتابي نفسه يستخدم اللغة بنفس الطريقة الطبيعية المرنة: «الإيمان» له مجال مختلف في الالعبرانيين عن رومية؛ و«التبرير» له ميل مختلف في يعقوب عن غلاطية. وإن الممارسة الرعوية لبولس – مثل اللاهوت الكتابي واللاهوت النظامي والحيّاة الحكيمة – نجحت في الحفاظ على تماسكها مع محتوى نصوص محددة، ورغم ذلك استطاعت ملائمة النصوص لأهداف جديدة. إن بولس يعالج أسئلة جديدة، وينقش رسالة جديدة للمستمعين المعاصرين بطريقة تبدو متحررة بشكل مفاجئ للوهلة الأولى. يا له من باب رائع ومثير وغير عادي ذاك الذي تفتحه رسالة أفسس لبقية الكتاب المقدّس! إن نور الربّ يسوع المسيح والخدمة الحالية تحتاج لقيادة بولس في إعادة صياغة النصّ الكتابي ووضعه بشكل فعّال.

ماذا يعني كل هذا؟ نرى بولس يفتح أبوابًا لبقية الكتاب المقدّس، ورغم ذلك نراه يفعل شيئًا مختلف قليلاً وأكثر تعقيدًا من مجرد اقتباس أو تفسير نصوص كتابية. فهو إنسان تغير في المسيح، ويقوم بالخدمة ويحيا بما يتوافق مع سفري المزامير والأمثال. وإيمانه يتحدث من جديد مع الله والإنسان بحسب مقتضيات موقفه المحدد كرسول للأمم؛ فهو يحيا حكمة ذات انتعاش جديد في ذلك الموقف.

وها هو سؤال المليون دولار: **هل يمكننا أن نفعل شيئًا مثلما فعل بولس، حتى في أفسس؟** أم أنه كان يمارس امتياز رسولي عندما جعل النصّ الكتابي مسيحيًا وأعاد صياغته وأعاد سياقه؟ سأوضح ما أقصده وما لا أقصده في الفقرات القادمة، ولكن دعوني أجيب على السؤال بشكل صريح. يمكنك أن تفعل مثلما يفعل بولس، ليس ذلك فحسب، ولكن يتوجب عليك أن تفعل – وأنت بالفعل تفعل ذلك، كل يوم.

إن الحيّاة والخدمة الأمينين لكلمة الله والمعنيين بالظروف المتنوعة للبشرية يستخدمان النصّ الكتابي بطرق مبدعة وشخصية. والصلوات الأمينة والمعنيّة والارتجالية تستخدم مقتطفات وصياغات من النصّ الكتابي، لتمزج الكتاب المقدّس مع الاحتياجات الحالية للناس. إن العظات تقتبس وتفسّر النصّ الكتابي، ولكنها تستشهد أيضًا بالنصّ الكتابي خارج سياقه، وتتلاعب باللغة بطرق جديدة. وتحكي قصص جديدة وتضيف تطبيقات بطرق خلاقة. ونرى أحاديث من القلب إلى القلب تقتبس أو تشير إلى فقرات أو مقاطع من الكتاب المقدّس، وجميعها مُلوّنة ومُعاد صياغتها ومُخصصة بتفاصيل حيواتنا. والترانيم الجيدة تُستخرج من فقرة محددة أو فقرات مجمّعة، لتوضحها، وتسكب المسيح فيها، وتنسج الخبرة البشرية وتولّد استعارات مماثلة: «How Firm a Foundation»، «Christ the Lord is Risen Today»، «What a Friend We have in Jesus»، «Amazing Grace».

ولا تخطئ فهم ما سبق، فأنت لا تكتب أو تستقبل كلمة الله الموحى بها. إن صلاتك ووعظك ومشورتك وترنيمك وحياتك تجسّد سلطة ثانوية فحسب. أنت لست الناطق بلسان الإعلان الكتابي أكثر من John Newton وHoratio Spafford. ولكن إذا عشت حياتك وقمت بوظيفتك بأمانة، فأنت تصلّي الكلمة وتعظ بالكلمة وتقوم بالمشورة بالكلمة وترنم بالكلمة وتحيا بالكلمة. وسوف تَستخدم النصّ الكتابي بطريقة مشابهه لبولس، رغم عدم تماثلها في السلطة، بوفرة من التعديلات والتخصيصات وإعادة الصياغة وسرد القصص والتي هي جزء من الحيّاة المسيحية الطبيعية. علينا أن نقوم بشيء مشابه لما فعله بولس، إلى جانب البقاء أمناء وخاضعين لما قاله بولس. والأمانة لا تعني الروتين. ولا تعني أن تلتزم فقط بالكتاب، حتى لو كان الكتاب [المقدّس]، لأن الكتاب [المقدّس] يصيغ شيئًا مختلفًا.

أنا لا أجادل من أجل المذهب النسبي. ولا أجادل أن الإعلان مستمر وتقدمي. ولا أجادل أن هناك أجـزاء في الكتاب المقدّس عتيقة ويمكن التخلي عنها. ولا أجـادل في مفهوم

أن «كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه» عندما يصل الأمر إلى تفسير الكتاب المقدّس. ولا أجادل من أجل ترك النصّ الكتابي أو تعديله. ولا أجادل أن المعنى كله في عين المشاهد، كما في تفسير ما بعد الحداثة التفككية. ولا أجادل من أجل الإضافة للكتاب المقدّس، أو النزع من الكتاب المقدّس أو تجاوز الكتاب المقدّس. ولا أجادل من اجل الذاتانية [أحد المذاهب الفلسفية]. فالكتاب المقدّس كامل وأبدي ومعصوم ومتسلط (ذو سلطان) وكاف ونقي وغير متغيّر وحق موثوق به، إنه كلمة الله الحيّ. ولكني أجادل بأن الحيّاة الصالحة والوعظ والصلاة والمشورة والمناقشة والتعليم والتأمل والترنيم جميعها تفعل شيء ما بالنصّ الكتابي. وبهذه الطريقة فقط نكون أمناء للنص الكتابي. وتجسّد كلٌ من «الحكمة» و«الإيمان الحيّ» تكيفيات وتطبيقات ومخصصات خلاقة.

ويصيغ الكتاب المقدّس كيفية استخدام الحقيقة، ومثل هذا الاستخدام يشتمل على مرونة وقدرة على التكيّف قد تبدو صادمة وخطرة وغير معتادة. ولكن البدائل لمثل هذه الممارسة الرعوية الثاقبة والخلاقة قد تبدو صادمة وخطرة وغير معتادة لبولس الرسول. فهو لم يكن متبلدًا أو «كتابيًا» أو مؤمنًا بالخرافات بشأن النصّ الكتابي. وسأقول مرة أخرى، عليك أن تفعل شيئًا مثلما فعل بولس في طريقة استخدامه للنص الكتابي. وأنت بالفعل تفعل شيئًا كهذا في كل مرة تصلّي فيها أو تتأمل أو تعظ أو تمارس المشورة بحكمة. وعندما تصبح واعيًا بشكل أكبر لما تفعله وما يتوجب عليك أن تفعله سوف يساعدك ذلك أن تحيا وتخدم بشكل أفضل.

من الصعب فهم رسالة أفسس في بعض الأحيان

لقد علّق بطرس أن رسائل «**أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسُ**» **تحتوي على «أَشْيَاءُ عَسِرَةُ الْفَهْمِ، يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ، كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضًا، لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِمْ»** (بطرس الثانية ٣: ١٥- ١٦). وإذا كان رسولٌ زميلٌ لبولس يجد صعوبة في فهمه، فكم بالحري سنجد أنفسنا مرتبكين في بعض المناسبات! هل كانت رسالة أفسس بالتحديد في ذهن بطرس عندما قال أن بولس قد يكون مربكًا؟ لا نعلم، لكنها تناسب الحديث. ويمكن لجهلنا وعدم استقرارنا أن يقودنا إلى تشويه الأمور الواضحة وأيضًا عسرة الفهم. وقد لا نكون الأشخاص الذين يحرّفون كلمات بولس تمامًا لهلاك أنفسنا. ولكن احترسوا، إن الصفات المُعرِّفة لصانعي الشر هي دومًا الميول والإغراءات المتبقيّة في من يؤمنوا.

ونحن نميل للتخبّط وصولاً إلى تفسيرات سخيفة بسبب جهلنا. ونميل إلى الانحراف بسبب عدم استقرارنا. والناتج النهائي دائمًا ما يكون حياة عنيدة تحرّكها الرغبة والتي تغزو التوجه المركزي لرسالة الله. وبدلاً من ذلك، دعونا نتعلم معرفة الربّ بدقة وبتماسك، وأن نبني حياة ثابتة من الإيمان المتزايد والمحبة المتزايدة. نحن نحسن التصرّف عندما نطلب من الله، «أعطنا المزيد من الحكمة، وأعطنا القدرة على الاستماع الجيد.» إن قدرتنا على الفهم تتأثر بشدة بمدى وضوح أو ارتباك إيماننا بسبب طاعة أو عدم طاعة ممارستنا. وهناك ثلاثة أسباب لصعوبة فهم رسالة أفسس.

غير مفهومة بدون الروح

أولاً، يعترف بولس أن رسالة أفسس تناقش مسائل غير مفهومة إلا إذا فتح الروح القدس عقولنا وقلوبنا. يجب أن يعطينا الله «روح الحكمة والإعلان ... لتستنير عيون أذهاننا» لنفهم الكلمات المطبوعة على الصفحات التي أمامنا! ويجب على الله أن يُمكّننا من «معرفة محبة المسيح فائقة المعرفة»، وإلا سوف نظل في ذهول. والصعوبة لا تظهر لأن أفسس غامضة بشكل خاص. إنها ليست مليئة بالأقوال السوداء والتصورات الغريبة والإشارات للثقافات المفقودة منذ زمن طويل. ويوجد في سفر القضاة أماكن غامضة بالنسبة لنا، ولكن أفسس تميل لأن تتجاوزنا. إن معناها يجعلنا نتملص لأسباب قريبة لما تقوله الترنيمة القديمة «سرمدي، خفي، الله الحكيم، في نور لا يدنى منه، خفي عن عيوننا... ساعدنا لنرى بهاء النور المخفي فيك.» إن أفسس تعبّر عن المجد الإلهي. ونصاب بالغشاوة والعمى بالنور المتوفر. إن الأمور السهلة الفهم في أفسس عبارة عن جزر من نور في بحر من نور أكثر إشراقًا من الشمس، وليست جزر من نور في بحر من الظلام. وتعريفًا لذلك، فنحن بحاجة إلى معونة الله لفهم أفسس.

جدل مثير للانقسام مقابل الوحدة

ثانيًا، يدور حول أفسس، كتاب الوحدة، قدرٌ كبيرٌ من الجدل اللاهوتي والصراع الكنسي - الشخصي. ويمكن لمثل هذا الجدل أن يتسبب في اثنين من الآثار السلبية المباشرة. وفي بعض الأوقات تفقد اتجاهاتنا الألوان بسبب الجدل نفسه. وفي بعض الأوقات تصاب آرائنا بأخطاء معيّنة. وفي كلتا الحالتين (وعادة ما تحدث كلتاهما معًا)، سوف نجد صعوبة في الاستماع لما

تقوله أفسس حقًا. ولأسباب وجيهة، فإن الجدل يؤدي إلى خلق رؤية ضيقة وإنتاج اتجاهات شريرة. ونجعل جبل واحد وكأنه سلسة جبال، أو نجعل تل صغير وكأنه جبل. فما نراه، أو نظن أننا نراه، يستحوذ على عقولنا. ونفقد البصيرة لرؤية سلسلة الجبال، أي الإطار الذي نرى فيه كلاً من الجبل والتل ونقيم لهما وزنًا. وقد نكون محقين تمامًا بشأن قضية محددة، ولكن الحقيقة المُقلّصة تصبح حقيقة غير متزنة. فإنها تفقد القدرة على الاستماع والتصحيح. والحقيقة المُقلّصة تفقد المحبة وطريقة العمل الفدائية. وبينما تفعل ذلك، تصبح خطأ تفاعلي. وتصبح مشوهة على نحو متزايد. وتصبح وسيلة نقل للصراع الشخصي والبر الذاتي.

ولكن أفسس تنطق بالحق الذي يدعونا لنحيا «**بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ... صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ.**» وهذا لا يترك الكثير من المجال للغضب والاتجاهات المريبة التي تستفحل في الجدل. وهذا الجدل يُنسينا المسيح، ويتسبب في جعلنا غاضبين، أو مستاءين، أو يائسين أو خائفين. وتدفعنا أفسس إلى مثل هذه الاتجاهات والكلمات التي تنتجها [الاتجاهات]. وسواء كانت كلماتنا منطوقة أو مكتوبة، فلا يجب أن تكون فاسدة أو ضارة أبدًا. ويجب أن تكون مليئة بالنعمة وبنّاءة دومًا. ويجب أن تكون مُصمَمَة خصيصًا للزمان والمكان والشخص والظرف.

وسوف تؤثر بعض وجهات النظر المحددة والخاطئة بشكل ملحوظ أيضًا على قدرتنا للاستماع لأفسس من أجل أنفسنا واستخدامها من أجل الآخرين. فعلي سبيل المثال، يؤمن كل مسيحي مُجاهر بمسيحيته بنعمة الله وبمسئولية الإنسان. ولكن عندما يصل الأمر إلى تحديد ما إذا كانت نعمة الله أو قرار الإنسان له الأولوية في التجديد، فإن الجدل دومًا ما يسيطر. ومع ذلك، فإن كل وجهة نظر لابد وأن تعتمد على أفسس. وأرى أن أفسس ١: ٣ – ٢: ١٠ لا جدال فيها فيما يتعلق بأولوية النعمة. وتأتي مكانتنا في يسوع المسيح لأن «الله اختارنا في المسيح قبل تأسيس العالم» حتى يُتمم «**قَصْدِ الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ**» (أفسس ١: ٤، ١١). نعم، ففي كل لحظة في حياتنا نختار: أن نؤمن أو نضل، أن نتوب أو نتقسّى، أن نطيع أو نتمرد، أن نحب أو نكره. ولكن «**مَجْدِ نِعْمَتِهِ**» أمر مجيد للغاية وكوننا «**أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا**» يؤكد حالة الموت التام، لدرجة أن مفهوم قيام الإنسان الميت بالشروع والاكتفاء «بالإيمان المعطي الحيّاة» تجاه الله بدون أن يحيه الله يبدو سخيفًا بالنسبة لي.

إضافة إلى ذلك، فإن يد الله اجتاحتني وتدخّلت بشكل لافت للنظر – بطريقة أفسسية للغاية – لدرجة أنني لم أشك في السيادة التامة للنعمة لإنقاذ هذا الشرير تمامًا. ولكن يوجد بعض المسيحيون أصحاب الإيمان الصادق وذوي الشخصيات الوقورة بشكل أكبر مني – وبعضهم أصدقاء وإخوة – الذين يقدمون نظرة أكثر تفاؤلاً بشأن القدرة البشرية ونظرة أقل تمجيدًا بشأن نعمة الله. ونختلف بعضنا مع بعض. وأظن أن نظرتهم لله وللإنسان سطحية، وقادرة على إرباك فرح الإيمان الناضج والدائم. وهم يظنون أن نظرتي لله وللإنسان كئيبة، وقادرة على تثبيط عزيمة الناس. وأحدنا مخطئ بشأن منطقية النعمة والمسئولية. وأينما يقع الخطأ، فإنه سيعيق فهمنا لبولس بكل تأكيد، وسيكون له تأثير كبير على كيفية خدمتنا للآخرين.

و تصارع المجادلات متعددة الأنواع في معارك داخل العبارات الموجودة في أفسس، مثل: سياسة الكنيسة، وطبيعة العبادة، والعطايا الكارزماتية، وأدوار الرجال والنساء، وأسلوب الحرب الروحية، والسماح بالغضب وهلم جرا. وإذا كنت مخطئًا، سوف يتسبب ذلك في صعوبة فهم أفسس، وسوف يضر كلاً من الكنيسة والفرد.[٣]

جدول أعمال قلوبنا

ثالثًا، إن أكبر معوّق للفهم ينشأ داخل قلوبنا. وكلٌ من الصعوبات الجوهرية والمجادلات اللاهوتية المحددة تتداخل معنا! وتترابط قدرتنا على فهم أفسس مع قدرتنا على أن نحيا بحسب أفسس. ويسمح لنا الإيمان الواضح والطاعة أن نفهم بشكل أفضل. ويولد الفهم الأفضل، بشكل مباشر، طاعة وإيمان أكثر نشاطًا. وتوضح أفسس أن هناك نوعان من القلوب. أحدهما طبيعته الأساسية ظلام وقسوة وجهل وخدمة للذات وعمى: «**كُنْتُمْ قَبْلاً ظُلْمَةً.**» والآخر طبيعته الأساسية نور ورقة ومعرفة ومحبة ورؤية: «**وَأَمَّا الآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ. اسْلُكُوا كَأَوْلاَدِ نُورٍ**» (أفسس ٥: ٨). ويحذّر بولس من النوع الأول. ويصلّي ويحثنا على النوع الثاني. وعلينا أن نحذّر ونصلّي ونحث. وعندما تقرأ رسالة أفسس، آمن، واطلب المساعدة، وسر بحسب تعليمها وشجّع الآخرين. عندها سينمو فهمك وتأثيرك.

---

٣ ويمكن للجدل أن يكون شيئًا جيدًا أيضًا. فهو يشجّع على الإعداد والتطبيق الحيّ للحق. وينقّي الجدل إيمان وممارسة الكنيسة على المدى البعيد. ويزخر الكتاب المقدّس بالجدل. ويقف وراء كل رسائل العهد الجديد نوع من التوتر، أو النقاش، أو الارتباك، أو التهديد، أو الانقسام، أو الاحتياج. فلا يمكننا ولا يجب علينا تجنّب كل الجدل. وأتمنى أن يزداد جسد المسيح قوة وحكمة في عملية التوصل إلى المزيد من الاختلافات المحددة. صادقين في المحبة، ننمو في كل شيء إلى المسيح.